تصعيد المواجهات المسلّحة

شهدت فلسطين المحتلة تصاعداً وتكثيفاً ملحوظيْن للعنف خلال الآونة الاخيرة بموازاة انطلاق المسيرة السلمية في مدريد وواشنطن، في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) وأوائل كانون الاول (ديسمبر). وجاء العنف من الجانبين، الفلسطيني والاسرائيلي؛ اذ ارتفعت وتيرة استخدام الاسلحة النارية والمتفجّرات والاساليب الاخرى من قبل الخلايا المسلّحة الفلسطينية، بينما ابتدأت سلطات الاحتلال بالتركيز على «نقاط ضغط» مختارة ضد المواطنين، تمهيداً لبلورة استراتيجية جديدة لمواجهة المقاومة الوطنية. ويبدو ان رغبة التأثير، سلباً أم ايجاباً، في صراع الارادات الدبلوماسية كان احد دوافع تزايد العنف؛ اذ اتضح ان ثمّة عوامل ومآزق داخلية سياسية وتنظيمية تدفع مختلف القوى المعنيّة الى تكثيف المواجهة المسلّحة. وانعكست اعتبارات مماثلة بتصاعد حدّة العنف في جنوب لبنان ايضاً، في الفترة ذاتها، حيث تزايدت عمليات المقاومة الوطنية والعمليات المضادة الاسرائيلية والعميلة.

حرب الخلايا المسلّحة

ادّى النمو المتسارع لعدد العمليات المسلّحة التي ينفّذها أعضاء الخلايا الفلسطينية السرية، منذ الصيف، الى وضع بات يدفع المسؤولين الاسرائيليين الى التعبير عن قلقهم الشديد. وأوضح ذلك قائد المنطقة الوسطى في الجيش، اللواء داني ياتوم، في ١٦ تشرين الاول (اكتوبر)، حين اعترف بفقدان السيطرة على جنين، وبالعجز عن القاء القبض على الناشطين الفلسطينيين العاملين بالمنطقة (**القدس العربي**، لندن، ١٧/١٠/١٩٩١). وأضاف الى ذلك نائب رئيس الاركان، اللواء امنون شاحاك، وهو يتحدث أمام لجنة برلمانية، في ٢٠ الشهر، ان الجيش قد فقد سيطرته على مناطق عدة (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ٢٠/١٠/١٩٩١).

غير ان عمليات المقاومة المسلّحة بقيت على نموها في الفترة التالية؛ اذ سجّلت التقارير الاولية وقوع ما لا يقل عن ٣٠ حادثة طعن واطلاق رصاص وزرع عبوّات أو القاء قنابل خلال الشهرين التاليين؛ علماً بأن بعض المصادر المحلية أشار الى معدّل أكبر بكثير. فقد دلّ احصاء فلسطيني على حدوث ٣٨ حالة اطلاق نار و١٢ حالة زرع أو القاء عبوات وقنابل خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) وحده، عدا ١٧ حادثة القاء قنابل حارقة («مولوتوف») و٣١٠ حالات قذف حجارة (**المصدر نفسه**، ١٥/١٢/١٩٩١).

هذا وقد انطلق مسلسل العمليات المسلّحة الجديدة مع محاولة فتاة طعن عدد من الجنود في سيارة «جيب» عسكرية كانوا قد اعتقلوها واصطحبوها دون ان يدركوا انها تحمل سكيناً، في ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) (**القدس العربي**، ٢٦ ـ ٢٧/١٠/١٩٩١). ثمّ جُرح جندي اسرائيلي بانفجار قنبلة أُلقيت على دوريته في مدينة نابلس، في اليوم التالي. ولكن لم تحدث اصابات نتيجة انفجار عبوة داخل صندوق الكهرباء في احد مباني تل ـ أبيب، في ٢٧ الشهر؛ وقد ردّت قوات الامن باعتقال ٢٠ مواطناً فلسطينياً بحثاً عن الناشطين (**المصدر نفسه**، ٢٦ و٢٨/١٠/١٩٩١).

أمّا الحادثة الملفتة، فوقعت في ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر)، حين تعرّضت حافلة صغيرة تنقل مستوطنين الى تظاهرة تأييد للاستيطان لاطلاق نار قرب مستوطنة اريئيل، فسقط بين الركاب قتيلان وخمسة جرحى. وقد تبنّت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين العملية، علماً بأن حزب الله اللبناني تبنّاها ايضاً (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٩ و٣٠/١٠/١٩٩١؛ **والحياة**، لندن، ٣٠/١٠/١٩٩١). وصادف ان أعلنت سلطات الاحتلال عن التصدي لمحاولة تسلّل عبر الحدود الاردنية، في اليوم ذاته. وحسب بيانها، فقد